الصفوة العليا صفوة في ماضيها، كما في حالها واستقبالها بأدلة أخرى.

أجل قد يمنع الظلم الماضي من عهد الإمامة إذا كان من كبائر الإثم والفواحش ومن أكبرها وأفحشها الإشراك بالله مهما كان مغفوراً بالإيمان، ولكنه ليس مغفوراً لمنصب الإمامة، فإن الاصطفاء، وقاعدة إمكان الأشراف، يمنعان انتصاب من كان مشركاً لمنصب الإمامة، مهما أصبح من أعدل العدول، كما والغضاضة الشركية السابقة تمنع المأمومين عن الائتمام بذلك الإمام، مهما صحت الصلاة خلفه، وصح قضاؤه وشهادته أمّا ذا سوى القيادة الروحية العليا وهي إمامة الأمة[1].

ثم ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[2] تنفي عن مثل آدم عهد الإمامة المعني بـ ﴿عَهْدِى﴾ فليس يكفي في ذلك العهد حاضر

= مرتبة ثالثة وفضيلة شرّفه بها وأشاد بها ذكره فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فقال الخليل مسروراً بها: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فأبطلت هذه الآية . . .

(١) روى الشيخ في أماليه بسند متصل عن عبد الله بن مسعود والشافعي ابن المغازلي في المناقب على ما في تفسير اللوامع ١: ٦٢٩ - بإسناده يرفعه إليه قال قال رسول الله ﷺ: وكيف صرت دعوة إبراهيم أبيك؟ قال: أوحى الله عَزَّوَجَلَّ الى إبراهيم ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البَقَرَة: ١٢٤] فاستخف إبراهيم الفرح فقال: يا رب ومن ذريتي مثلي، فأوحى الله عَزَّوَجَلَّ إليه أن يا إبراهيم إني لا أعطيك عهداً لا أفي لك به، قال: يا رب ما العهد الذي لا تفي به؟ قال: لا أعطيك عهداً الظالم من ذريتك، قال: يا رب ومن الظالم من ولدي لا ينال عهدك؟ قال: من سجد لصنم من دوني لا أجعله إماماً أبداً ولا يصلح أن يكون إماماً، قال إبراهيم: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦]، ومن ثم قال النبي ﷺ فانتهت الدعوة إلي وإلى أخي علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يسجد أحد منا لصنم قط فاتخذني الله نبياً وعلياً وصياً (تفسير البرهان ١: ١٥١).

وممن أخرجه عن ابن مسعود المير محمد صالح الترمذي الكشفي في مناقب مرتضوي ص ٤١، روى عن الحميدي عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ ما ترجمه أنه قال: إن دعوة إبراهيم الإمامة لذريته لا تصل إلّا لمن لم يسجد لصنم قط ومن ثم جعلني الله نبياً وعلياً وصياً لي.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٥.

العدالة، بل وماضيها كما في حاضرها، حتى تحل في ظرف ظريف طريف حفيف في مثلث الزمان لكلّ أبعاد العدالة.

مطلق الإمامة الشامل لإمامة الجماعة وإمامة القضاء وإمامة التقليد، لا يقتضي هذه المرتبة القمة من الاصطفاء، ولا تعني الإمامة في الآية مطلقها الشامل لها، بل هي الإمامة المطلقة لمكان «للناس» دون اختصاص بحقل أو ناس خاص، كما وأنها فيها بعد الرسالة والنبوة.

فمن يحمل قيادة الأمة الإسلامية ككلٍّ بعد إمام الأئمة محمد ﷺ ليس إلّا من أصفى الأصفياء كما محمد ﷺ في قمتهم على الإطلاق، فكيف يصح أن تشمل هذه الإمامة من عبد صنماً، كما و﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ تختص جعل ذلك العهد بالله، والخلفاء الثلاثة بعد الرسول لم يكونوا منتصبين من قبل الله، ولا هم أصفياء الأمة ككلّ، بإجماع الأمة الإسلامية ككّل!.

ثم النسبة بين هذه الإمامة والنبوة عموم من وجه، فقد يكون نبياً وليس هكذا إماماً، كآدم ومن فوقه من غير أولي العزم، أم يكون إماماً وليس نبياً ولا رسولاً، كالأئمة الاثني عشر المحمديين، أم هو إمام ونبي كالخمسة أولي العزم، أم هو إمام الأنبياء والأئمة ككلّ وهو محمد ﷺ.

ولأن أئمة أهل البيت عليهم السلام يحملون الإمامة فهم أفضل من سائر أولي العزم عليهم السلام وقد تدل على ذلك آية التطهير وما أشبه.

وترى الخليل تطلّب من ربه الإمامة المجعولة له للبعض من ذريته: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾؟ علّها هي إمامة مطلقة لا مطلق الإمامة كما وأنها قضية الموقف: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾... إذاً فـ ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تجتّث كلّ دركات الظلم، ناحية منحى كلّ درجات العدل في حياة الإمام كلها، وذلك منطبق على أئمة المرسلين بعده: موسى والمسيح ومحمد عليهم السلام، أمّن حذا حَذْوَهمُ من أئمة الإسلام المعصومين، فلا تشمل - ولأقل تقدير - مثل آدم،

الذي عصى ربه قبل رسالته فغوى، مهما اجتباه ربه - بعده - فتاب عليه وهدى.

ومن ميِّزات هذه الإمامة أن ليس يختص وحيها بالعلوم والمعارف بل وفعل الخيرات، كما والهداية بأمر الله تكوينياً وتشريعياً، فكما هم مهتدون بأمر الله فيهما، كذلك هم هادون بأمر الله فيهما، وهم عاملون الخيرات بوحي الله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[1].

وإطلاق القول ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ ضارباً إلى كلِّ أبعاد الماضي - وهي قبل الإمامة - ذلك الإطلاق يخرج كمثل آدم عليه السلام.

وفي رجعة أخرى إلى آية الابتلاء:

«و» اذكر يا إمام أئمة الهدى، الرسول المصطفى، «اذكر» ذكرى من إبراهيم الخليل عليه السلام كأفضل مَثَلٍ من أُمثولات الإمامة بالابتلاء، ولكي تكون على أهبة لابتلاء أشدّ وأقوى لإمامة هي أشمل وأنبل وأعلى، اذكر ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ فربُّك يبتليك بكلمات ويجعلك للناس إماماً على العالمين أجمع - كما جعله.!

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ إبراهيم و«أتمهُنَّ» ربه، وأين إتمام من إتمام، وكذلك الله يتم لك وتتمه أنت، وأين كلمات من كلمات؟

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وقد جعلت أنت إماماً على النبيين ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾.

﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ وكما قال موسى ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾[2] ولكن الله

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.
(٢) سورة طه، الآية: ٢٩.

جعل لك من ذريتك أئمة يحملون أمانة إمامتك ككلّ وكما يبدو من آية التطهير، الجاعلة طهارتك القمة لأهل بيت رسالتك القدسية وهم الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

وقد تعني ﴿بِكَلِمَٰتٍ﴾ قسماً منها يناسب الإمامة الإبراهيمية، ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم كلّ الكلمات لأن إمامته هي كلّ الإمامات: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ...﴾[١] إيماناً علمياً وعقيدياً وعمليّاً في كلّ الحقول المعرفية والعملية، دون إبقاء لكلمة يبتلى بها إلّا وأتمها كأتمّها حتى نال الإمامة الكبرى.

ولئن نال الخليل مرتبة الإمامة بعد العبودية والرسالة والنبوة والخلة كما تناسب إمامته، فقد نال الحبيب الإمامة الكبرى بعد أن أصبح أوّل العابدين: ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ﴾[٢] ثم أصبح آخر النبيين ورسولاً إليهم أجمعين: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٣] ثم حبيباً لرب العالمين لحدٍّ يحلف بعمره ربُّه ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾[٤] كما ويحلف بنفسه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾[٥].

وترى الخليل - بعدُ - يتطلّب من ربّه إمامته للبعض من ذريته دون شرط إلّا أنهم من ذريته؟ وذلك بعيدٌ عن مقام الخليل أمام ربه الجليل، وقد ابتلي هو نفسه بكلمات، فكيف يدعو لذريته دون ابتلاءٍ!.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ ليست لتتعلق - فقط - بـ ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ بل وقبلها بـ ﴿ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾ إذاً فلدعائه بُعدان اثنان، أن يبتلي ربه من ذريته - كما هو

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨١.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٧٢.
(٥) سورة النساء، الآية: ٦٥.

- بكلمات، ثم يجعله بإتمامهن إماماً، فأضاف ربه إليهما بعداً ثالثاً ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فلا يصلح الظالم أن يبتلي بكلمات تلك الإمامة حتى يُجعل إماماً.

وترى إبراهيم الخليل عليه السلام هو بعدُ كأضرابه من النبيين، حكمت عليه رغبة امتداد الإمامة في ذريته فسألها لهم ربه؟ ولا وراثة فيها، ولا تقدم لها فيهم لأنهم - فقط - ذرية!.

نقول هنا: إضافةً إلى أن امتداد الشخصية - زمنية أو روحية أماهيه؟ - هو رغبةٌ فطرية، أودعها الله في فطرة الإنسان، تنمية للحياة، ومضياً في طريقها المرسوم، وقد قرر الإسلام على أساسه شرعة الميراث وسائر الاختصاص في حقل التربية مادية ومعنوية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1] - ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[2] نقول إضافة إلى ذلك إنه استدعاء بشروط، دونما فوضى جزاف، ودون سلب لغير ذريته، ومن ثم فدعاؤه - كسائر فعله - إنما هو بإذن ربه ودعائه - قضيةَ التسليم المطلق لساحة الربوبية وقد عرف وحياً من ربه أن من ذريته من إسماعيل من يأهل لتلك الإمامة.

وكما في دعائه ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[3] وما البُعد الثالث لتحقيق ذلك الدعاء: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إلّا توضيحاً لسائر الأجيال في هذه الإذاعة القرآنية العالمية، وليس تفهيماً لإبراهيم، العارف شروطات تلك الإمامة الكبرى كما لمسها في نفسه.

فطالما يدعو إبراهيم إمامته للبعض من ذريته، ولكنه يشترط شرط إتمام نفس الكلمات، مما لا يحصره في ذريته، اللّهم إلّا بما أوحى إليه ربه، ألّا

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.
(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

يصلح لشروطاتها إلّا بعضٌ من ذريته كمحمد وعترته المعصومين عليهم السلام أجمعين.

وهنا ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ لا تعني إلّا البعض منهم، وهم بين عادل وظالم، فتراه أراد الظالمين منهم فقط ترجيحاً للمفضول على الفاضل! أم عنى الفريقين؟ و﴿وَمِن﴾ تبعض! فهو - إذاً - يعني العدول منهم - ولأقل تقدير - حالة الإمامة، و﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أخرجت كلّ ظالم منتقص كلمات الابتلاء، ماضياً أو مستقبلاً فضلاً عن الحال، فلم يشمل عهد الإمامة كلّ العدول حال الجعل، بل هم العدول في مثلث الزمان لقمة العدالة وهي عدم الانتقاص في الكلمات المبتلى بها هكذا إمام.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾:

﴿ٱلْبَيْتَ﴾ هنا هو البيت العتيق: الكعبة المشرفة، والجعل هنا تشريفي تشريعي، وواقعي تكويني، في مثابته وأمنه، فما هي ﴿مَثَابَةً﴾ وما هو «أمناً»؟

﴿مَثَابَةً﴾ هي في الأصل المثوبة اسم لمكان ﴿ٱلْبَيْتَ﴾ أم ومصدراً ميمياً، أم وعلى هامشهما اسم زمان، فإن لإتيانه حجّاً زمان خاص، والتاء للمبالغة، فالبيت مصدر لكلّ صادر بكلِّ معاني ﴿مَثَابَةً﴾ كما هو ملجأ لكلّ حائر سادر، فهو ﴿مَثَابَةً﴾ مصدراً وزماناً ومكاناً.

ولقد أتت ﴿مَثَابَةً﴾ في مختلف المناسبات لمعانٍ عدةٍ، فلا تختصّ بواحدة دون أخرى، وقضيةُ الإفصاح البليغ في مذهب الفصاحة البالغة، أن يُؤتى باللفظ قدر المعنى المُرام، لا زائداً على المعنى ولا ناقصاً عنه، وخرافة استحالة استعمال لفظ واحد في أكثر من معنى واحد تنحل في ألفاظ الكتاب والسنة بأن للقائل مقام جمع الجمع فلا مشكلة له في هكذا استعمال

جامع بين شتات، وذلك من اختصاصات الكتاب والسنة، اختصاراً في التعبير، وعناية للمعنى الكثير.

كما وتنحل في اصطلاح من يقوم لما يستعمله من ألفاظ كلّ المعاني الصالحة في اللغة، دون حاجة إلى لحاظها ردف بعض حتى يُحيله قُوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾[1].

فمختلَف التفسير لمثابة مختلِف عن تفسيرها المعني منها دون أية حجة لواحد من معانيها، وهي:

١ - المَقام. ٢ - المرجع. ٣ - المجتمَع. ٤ - الممتَلئ. ٥ - المَلجأ. ٦ - المأتي متواتراً. ٧ - المُقبَل. ٨ - المتاب. ٩ - محل الثواب. ١٠ - المنتَبه. ١١ - المستقى. ١٢ - مجتَمع الماء... وبضرب مثلث الصيغة من ﴿مَثَابَةً﴾ إلى المعاني الاثني عشر تُصْبِحُ معانيها المعنَّية ستة وثلاثين مهما اختلفت عنايتها في درجات، وأين هي من معنى واحد لا دليل له، وهو في نفس الوقت خلاف الفصيح بل وغير صحيح!.

أجل إنه ١ - مقام الإسلام ومنطلَقه، ومَقام المسلمين بكلّ انطلاقاتهم الحيوية السامية.

٢ - ومرجعهم حيث يرجعون اليه في مشاكلهم الروحية والجماعية أماهيه؟ «لا يقضون منه وطراً»[2].

٣ - ومجتمعهم ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ...﴾[3] اجتماعاً عن كلّ التفرُّقات والتفرِّقات.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤.
(٢) كما يروى عن باقر العلوم عليه السلام تفسيراً لمثابة: يرجعون إليه ...
(٣) سورة الحج، الآية: ٢٨.

٤ - وممتلئُ مجدهم بجمعه الحافل الكافل لحلّ كلّ المشاكل بتشاورٍ وتحاورٍ مليء بما يغنيهم.

٥ - وملجؤهم في مخاوفهم عن مفازاتهم في سياساتهم الزمنية والروحية، وسائر حاجياتهم الحيوية.

٦ - يأتونه متواتراً في حجِّهم وعُمْرتِهم دونما انقطاع، قطاعات عظيمة من مختلف الألسن والألوان من مشارق الأرض ومغاربها، من كلِّ فج عميق.

٧ - مقبلين اليه زيارةً له، واستقبالاً في صلواتهم وسائر عباداتهم، استقبالاً لقبلته الواحدة.

٨ - ومتابهم عن ذنوبهم فردية وجماعية، فإنهم فيه من ضيوف الرحمن وحاشاه أن يرجعهم خائبين!.

٩ - ومحل ثوابهم إذ يثيبهم الله بزيارته حقها كما وعد عباده الثائِبين إليه التائبين.

١٠ - ومنتبهاً لهم عن كلِّ غَفَلاتهم وغَفَواتهم، وليشعروا ماذا عليهم في مسؤولياتهم الإسلامية الهامة.

١١ - ومستقىً لهم من تروية ماءِ الحياة في كلّ حقولها الروحية والمادية، من مشارف بئره العظيم، بدِلاءِ التضامن والتعاضد الأخوي الإسلامي.

١٢ - ومجتمع مياه الحياة في كافة الجنبات: العلمية - العقيدية - الأخلاقية - العبادية - الاقتصادية - السياسية والعسكرية أماهيه.

ذلك هو كيان جعل البيت في الأساس، يجمعها ﴿قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾[1] ومباركاً وهدىً للعالمين: ﴿إِنَّ أَوَّلَ

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٧.

بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا . . .﴾(١).

و«الناس» كلّ الناس هم المِحْوَر الأساس في مثابة البيت وأمنه والقيام فيه وبركته وهداه، مما يلمح أن الحج فريضة إنسانية تصلح الحيوية الجماهيرية.

«وأمناً» هنا دون ﴿ءَامِنًا﴾ كما لـ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ مما يدل على خالص الأمن والسلام فيه، أمناً في شرعة الله أكثر من كلِّ بيت، وأمناً واقعياً ليس في أيّ بيت، مهما يوجد فيه خلاف الأمن من متخلفين، ولكنه أقل بكثير من غيره على طول الخط.

والبيت هنا «مثابة وأمناً» لا يخص الكعبة المباركة - مهما كانت هي الأصل فيهما - بل والمسجد الحرام والحرم كله كما ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾(٢) و﴿حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾(٣) تشهد على هذه الشمولية.

ثم ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ تأمر الحجاج والمعتمرين - الطائفين والعاكفين والركع السجود - تأمرهم أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلّىً أمراً تشريعياً بعد أمنه تكويناً وتشريعاً، فما هو مقامه المأمور باتخاذ مصلّىً منه؟.

يأتي مقام إبراهيم في ثانية: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾(٤) مما تلمح - بين معانيها - وتلمع أن ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ كلها مقام إبراهيم، وقد ذكرنا في مسرحها اثنتي عشرة آية، من أبرزها - المعروف بينها عند الكلِّ - هو مقام

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٦، ٩٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٥.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

إبراهيم - موضع قدمه من الحجر الموجود في المقام حيث هو الآن، إذ أثرت قدمه المباركة حين كان يرفع القواعد من البيت، وحين أذن في الناس بالحج[١].

ذلك الحجَر نزل في مثلث الحجَر - كما يروى - من الجنة[٢] وكما لمقام إبراهيم أبعاد، كذلك اتّخاذ مصلّىً منه له أبعاد، أوسعها مقام البيت ككلّ، فإنه مصلّى لكافة المصلين في هذه المعمورة وسواها، مصلّىً واسع ابتداءً من البيت نفسه وإلى كلِّ أنحاء العالم.

ثم في مقام الحجر فإن الصلاة فيه مفضلة على غيره من كلِّ أنحاء البيت، ثم المسجد الحرام كله، ثم مكة كلها، ثم الحرم كلّه، ثم المشاعر كلّها، فإنها كلّها مقام إبراهيم.

ولـ ﴿مِن﴾ - في ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ بالنسبة لخصوص المقام - موقعها الدلالي فقهياً لهندسة ﴿مُصَلًّى﴾ فلم يقل «في» لأنه لا يكفي مكاناً لصلاة، ولا لمصلٍّ واحد فضلاً عن مئات الآلاف، ولا ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ

(١) في حسنة ابن سنان أو صحيحه - على الأصح - قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ [آل عِمرَان: ٩٧] ما هذه الآيات البينات؟ قال: مقام إبراهيم حيث قام على الحجر فأثَّرت فيه قدماه، والحجر الأسود ومنزل إسماعيل.
وفي الدر المنثور ١: ١١٨ - أخرج ابن ماجة وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال: لما وقف رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة عند مقام إبراهيم قال له عمر: يا رسول الله صلى الله عليه وآله هذا مقام إبراهيم الذي قال الله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البَقَرَة: ١٢٥] قال: نعم.

(٢) المجمع روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: نزلت ثلاثة أحجار من الجنة مقام إبراهيم وحجر بني إسرائيل والحجر الأسود، وفي الدر المنثور ١: ١١٩ - أخرج الترمذي وابن حبان والحاكم والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لأضاء ما بين المشرق والمغرب، وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الركن والمقام من ياقوت الجنة ولولا ما مسهما من خطايا بني آدم لأضاء ما بين المشرق والمغرب وما مسهما من ذي عاهة ولا سقيم إلّا شفي.